

أضواء البيان

@ 416 ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن أول كلمة نطق بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله ، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله ، أو ابنه أو إله معها وهذه الكلمة التي نطق بها عيسى في أول خطابه لهم ذكرها الله جل وعلا عنه في مواضع أخر . كقوله تعالى : { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابْنَئِيلَ اسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّيَّ وَرَبَّكُمْ } وقوله في (آل عمران) : { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ } ، وقوله في (الزخرف) { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْطَاعَهُ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ } ، وقوله هنا في سورة (مريم) : { وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ } ، وقوله : { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَّا أَمَرْتُ نَذِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّيَّ وَرَبَّكُمْ } . إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { عَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } التحقيق فيه إن شاء الله : أنه عبر بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع . ونظائره في القرآن كثيرة . كقوله تعالى : { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ } ، وقوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ } وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ } إلى قوله { وَسَيُقَاسُ الَّذِينَ كَفَرُوا } . وقوله تعالى : { وَسَيُقَاسُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ } . .

فهذه الأفعال الماضية المذكورة في الآيات بمعنى المستقبل . تنزيلاً لتحقيق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل ، ونظائرها كثيرة في القرآن . وهذا الذي ذكرنا من أن الأفعال الماضية في قوله تعالى : { عَاتَانِي الْكِتَابَ } الخ بمعنى المستقبل هو الصواب إن شاء الله . خلافاً لمن زعم أنه نبيء وأوتي الكتاب في حال صباه لظاهر اللفظ . وقوله { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا } أي كثير البركات . لأنه يعلم الخير ويدعو إلى الله ، ويبرء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله . وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية { مُبَارَكًا } أي نافعاً

كُنْتُ { : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعاً حيث كنت . وقال ابن حجر في (الكافي الشاف) : أخرجه أبو نعيم (في الحلية) في ترجمة يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة بهذا وأتم . وقال : تفرد به هشيم عن يونس ، وعنه شعيب بن محمد الكوفي ، ورواه ابن مردويه عن هذا الوجه . . .

وقوله في هذه الآية الكريمة { وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ } قال الحوفي وأبو البقاء : هو